التكامل بين القرآن والسنة في تعزيز قيم الروابط الأسرية وصلة الرحم في المجتمع المعاصر: (دراسة موضوعية)

الباحثان

ناظم عبد خلف

أ.د. عبدالله كريم عليوي

جامعة الأنبار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

Integration between the Qur'an and the Sunnah

in Reinforcing Family Bonds and Maintaining Kinship

in Contemporary Society:

An Objective Study Prof. Dr. Abdullah Karim Alawi

Researcher: Nazem Abdul Khalaf University of Anbar

College of Education for Humanities

Department of Qur'anic Sciences and Islamic Education

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 43
ISSN: 2225-9732
August 2026

ملخص

تهدف الدراسة إلى بيان تكامل القرآن والسنة في ترسيخ الروابط الأسرية وصلة الرحم وأثره في استقرار الأسرة والمجتمع. وتنبع أهميتها من تصاعد التفكك الأسري وضعف قيم التراحم، مما يجعل المنهج القرآني والنبوي ضرورة إصلاحية في الواقع المعاصر. وتتمثل مشكلة الدراسة في الفجوة بين التوجيهات الشرعية والممارسات الأسرية السائدة. وتعتمد الدراسة المنهج الموضوعي التحليلي للنصوص القرآنية والحديثية وربطها بواقع الأسرة. وتخلص إلى أن تكامل القرآن والسنة يقدّم منظومة قيمية فاعلة لإعادة بناء الأسرة ومواجهة مظاهر التفكك الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – السنة النبوية – الروابط الأسرية – صلة الرحم – الاستقرار الأسري.

Abstract:

The study aims to highlight the integration between the Qur'an and the Sunnah in reinforcing family bonds and maintaining kinship, and its impact on family stability and social cohesion. Its importance stems from the increasing family disintegration and weakening of values of compassion and care, making the Qur'anic and Prophetic approach a necessary corrective framework in contemporary society. The study problem lies in the gap between the religious guidance in the Qur'an and Sunnah and current family practices. The study adopts an objective analytical method, examining Qur'anic verses and Prophetic traditions and relating them to the contemporary family context. The study concludes that the integration of the Qur'an and Sunnah provides an effective value system for rebuilding families and addressing manifestations of social fragmentation.

Keywords: Qur'an – Sunnah – Family Bonds – Kinship – Family Stability.

مقدمة

الحمد لله الذي أمر ببر الوالدين وصلة الرحم، وجعل ذلك من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، الذي بيّن في سنته الكريمة كيفية ترسيخ القيم الأسرية والرحمة بين الأقارب، ودعا إلى الحفاظ على الروابط العائلية.

إن التكامل بين القرآن الكريم والسنة النبوية في تعزيز قيم الروابط الأسرية وصلة الرحم في المجتمع المعاصر يمثل أحد الأسس الهامة لبناء أسرة متماسكة ومجتمع مستقر، خصوصًا في ظل ما يشهده العالم اليوم من تغيّرات اجتماعية وثقافية تؤثر على العلاقات الأسرية.

اهمية الموضوع: تكمن أهمية هذا الموضوع في دوره الكبير في معالجة مشكلات التفكك الأسري وضعف التواصل بين الأقارب، وإعادة ترسيخ قيم الرحمة والبر والإحسان، بما يحقق التوازن النفسي والاجتماعي للأفراد والمجتمع.

الهدف من الدراسة: تهدف الدراسة إلى بيان أوجه التكامل بين القرآن والسنة في ترسيخ الروابط الأسرية وصلة الرحم، وبيان أثر هذا التكامل في تعزيز الاستقرار الأسري والاجتماعي.

مشكلة الدراسة: تتمثل مشكلة البحث في الفجوة بين التوجيهات الشرعية في القرآن والسنة وبين الممارسات الأسرية المعاصرة، حيث يتم تجاهل كثير من القيم التي نصّ عليها الوحي الكريم والسنة النبوية في صلة الرحم وبناء الأسرة.

منهج الدراسة: تعتمد هذه الدراسة على المنهج الموضوعي التحليلي، الذي يناسب دراسة النصوص الشرعية واستخلاص القيم العملية منها، من خلال جمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالروابط الأسرية وصلة الرحم، مع التركيز على الألفاظ الغريبة أو المبهمة، ثم تحليل هذه النصوص لغويًا وشرعيًا، واستعراض آراء المفسرين وشراح الحديث لفهم أبعادها التربوية والاجتماعية، ومن ثم استنباط القيم الأسرية العملية القابلة للتطبيق في الواقع المعاصر، وأخيرًا ربط النتائج بالممارسات الأسرية الحالية لتقديم توصيات عملية لتقوية الروابط الأسرية والمجتمعية.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين المبحث الأول: تعريف القيم الاسرية والتكامل وينقسم الى مطلبين

المطلب الأول: تعريف القيم الأسرية:

المطلب الثاني: تعريف التكامل لغة واصطلاحاً.

المبحث لثاني: التكامل بين القرآن والسنة في تعزيز قيم الروابط الأسرية وصلة الرحم في المجتمع المعاصر قسمته الى خمسة مطالب

المطلب الأول: صلة الرحم وأثرها في دوام البركة.

المطلب الثاني: التراحم الأسري بين الأقارب.

المطلب الثالث: الإصلاح عند الخصام.

المطلب الرابع: العفو والصفح بين الأقارب.

المطلب الخامس: التحذير من العقوق وقطيعة الرحم.

المبحث الأول: تعريف القيم الاسرية والتكامل

المطلب الأول: تعريف القيم الأسرية:

١. تعريف القِيَم لغةً: القيمة في اللغة: مقدار الشيء وحالاته المقدرة له وفي التنزيل العزيز {إنا كل شيء خلقناه بقدر}(١) وقال تعالى {فسالت أودية بقدرها}(٢)ووقت الشيء أو مكانه المقدر له والقضاء الذي يقضي به الله على عباده (ج) أقدار(٣)

القِيَم جمع قيمة، وتأتي بمعنى «الاستقامة والاعتدال «و «القيام على الشيء بما يصلحه»(٤)

٢. تعريف الأسرة لغةً: هي العائلة عشيرة الرجل وأهل بيته، لأنه يتقوَّى بها، أو الجماعة التي يربطها نسبٌ أو قرابة(٥).

(١) سورة الْقَمَر الآية: ٤٩.

(٢) سورة الرَّعْد الآية: ١٧

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، للازهري: ٩ / ٣٨ أبواب القاف والدال، معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمروغيره: ٣ / ١٧٨١ مادة (ق د ر). المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار): ٢ / ٧٨١، باب القاف.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، للازهري: ٩ / ٢٦٦ أبواب القاف والميم، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للأزهري: ٥ / ٢٠١٧ مادة(قوم)

(٥) ينظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث: محمد بن عمر لأصبهاني المديني، ١ / ٦٩ مادة(أسس) لسان

مما تقدم يمكن تعريف القيم الاسرية القيم الأسرية لغةً هي المبادئ والمعايير التي يقوم عليها تنظيم الأسرة، وتتمثل في الاستقامة والاعتدال في العلاقات الأسرية، أي القيام بالواجبات تجاه الأهل والأقارب بما يصلح شؤونهم ويحافظ على الروابط الأسرية المتينة.

تعريف القيم الاسرية اصطلاحا: القيم الأسرية هي المبادئ والمعايير الأخلاقية والتربوية التي تنظّم العلاقات داخل الأسرة، وتوجّه سلوك أفرادها نحو ال التماسك والاستقرار، وفق ما تتطلبه الشريعة والمعايير الاجتماعية»(١).

المطلب الثاني: تعريف التكامل لغة واصطلاحاً.

التكامل لغةً: التكامل في اللغة مأخوذ من مادة (ك م ل) التي تدل على تمام الشيء وبلوغه حدَّ الكمال. فيقال: كَمُل الشيء إذا تمَّ، والكمال ضدّ النقص. وذكر الحِمْيري أنَّ: «تَكامَل الشيءُ: إذا كَمُل»(٢)، كما يُقال: تكاملت الأشياء إذا كَمُل بعضُها ببعض بحيث لم تحتج إلى ما يكمِّلها من خارجها. (٣) وبذلك يكون التكامل دالًّا على تمام الأجزاء باجتماعها، بحيث يقوم كلُّ جزءٍ بوظيفةٍ تُتمّ الآخر حتى يحصل التمام والانتهاء إلى غاية الكمال.هو تمام الشيء واكتماله. يقال: «كمُل الشيء» إذا تم، و»الكمال» ضد النقص.

التكامل اصطلاحًا: ترابط العناصر أو الأدلة بحيث يُكمل بعضها بعضًا، ويُنتج مجموعها دلالة لا تُفهم من كل عنصر منفردًا. (٤)

اما التكامل القرآني والنبوي: هو تساند دلالات القرآن الكريم والسنة النبوية في بيان الأحكام والقيم، بحيث يفسر كلٌّ منهما الآخر، وتتضافر نصوصهما في إطار منظومة تشريعية واحدة تكمل فيها السنةُ القرآنَ بالبيان والتخصيص والتقييد، فيُنظر إلى الوحيين بوصفهما وحدة

العرب، لابن منظور: ٤ / ٢٠ (فصل الالف)

(١) ينظر: القيم الأسرية في الإسلام، عبد المعطي الدالاتي، ص ٢٧.القيم الأسرية وأثرها في التنشئة الاجتماعية، هيفاء العيسى، ص ١٥، القيم الأسرية ودورها في بناء المجتمع، محمد قطاونة، ص ١٢.

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى: ٩ / ٥٩٠٣.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٣ / ١٩٥٩.

(٤) أصول الفقه الإسلامي، للدكتور وهبة الزحيلي، ١ / ٤٥–٤٦ . والمبادئ العامة للفكر الأصولي الإسلامي في تعامله مع النص - إسلامية المعرفة د. أيمن علي عبد الرؤوف صالح: ٢٢.

متكاملة متآزرة. (١)

وفي إطار هذه الدراسة: يُراد بالتكامل: التساند المنهجي بين القرآن الكريم والسنة النبوية في إيضاح القيم الأسرية، بحيث يُفَسِّر كلٌّ منهما الآخر، ويُتمُّ دلالاته، لتقديم منظومة قيمية واضحة تلائم التحديات الأسرية المعاصرة.

المبحث الثاني: التكامل بين القرآن والسنة في تعزيز قيم الروابط الأسرية وصلة الرحم في المجتمع المعاصر

المطلب الاول: التراحم الأسري بين الأقارب اولاً: النص القرآني والحديث النبوي:

قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ). (٢) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى (٣)

ثانياً: أقوال العلماء في تفسير الآية وشرح الحديث:

يتكامل القرآن والسنّة في ترسيخ التراحم الأسري؛ إذ تقرّر الآية رابطة الأخوّة والمحبة، ويجسّدها الحديث بصورة عملية، لتغدو الأسرة نواة الرحمة والتكافل ومصدر تماسك المجتمع.

يبيّن الامام القشيري: أن الأخوّة في الدين التزام عملي وأخلاقي، إذ يجب على الأخ ألا يحوج أخاه للاستعانة به، وأن يراقب أحواله دون تقصير، وألا يلجئه للاعتذار بل يبسط عذره، ويكون سندًا له عند الخطأ أو المرض، ويقبل إشاراته دون المطالبة بالحجة. كما يشمل الحق حفظ العهد ومراعاة أهله في الحياة وبعد الممات، مع التحلي بالملاطفة والإنصاف في كل الأحوال. (٤)

(١) ينظر: تجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري: الدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد: ٣٦٥، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، الدكتور نعمان جغيم: ١٠.

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٠.

(٣) أخرجه الامام مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب / باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤ / ١٩٩٩ قم الحديث(٢٥٨٦)

(٤) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري: ٣ / ٤٤٢.

قال الامام الواحدي: «قال الزجاج: أعلم الله أن الدين يجمعهم، وأنهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب، لأنهم لآدم وحواء»(١).

يقرر الواحدي أن رابطة الدين تُعيد المؤمنين إلى وحدة الأصل الإنساني، فكأنهم إخوة نسب.

قال عبد القاهر الجرجاني: «ويحتمل نسبة الأرحام لأن الجميع ذرية رجل واحد»(٢).

يربط عبد القاهر الجرجاني الأخوّة بالإطار الإنساني العام، فالجميع أبناء أصل واحد، فتكون الأخوّة الإيمانية امتدادًا لذلك.

قال الامام الزمخشري: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعيادة مرضاهم، وشهود جنائزهم. ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب، حتى الهرة والدجاجة»(٣).

يوسّع الزمخشري مفهوم الأخوّة ليشمل كل صور الإحسان العملي: النصرة، الشفقة، السلام، العيادة، والمشاركة الاجتماعية.

قال ابن العربي المالكي: «فيه إطلاق اسم الأخوة دون إطلاق اسم الأبوة؛ لأن المؤمنين إخوة قال الله تعالى: {إنما المؤمنون إخوة}(٤)وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وددت أني رأيت إخواننا» . قالوا: ألسنا بإخوانك، قال: «بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»(٥) .

يرى ابن العربي المالكي أن الإسلام نقل رابطة المجتمع من «الأبوة» القبلية إلى «الأخوّة» الإيمانية الجامعة.

قال الامام الرازي: «قال الزجاج: أصل الأخ في اللغة من التوخي وهو الطلب فالأخ مقصده مقصد أخيه، والصديق مأخوذ من أن يصدق كل واحد من الصديقين صاحبه ما في قلبه، ولا يخفي عنه شيئا وقال أبو حاتم قال أهل البصرة: الإخوة في النسب والإخوان في الصداقة، قال وهذا غلط، قال الله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة)(٦) ولم يعن النسب، وقال: (أو بيوت

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي: ٤ / ١٥٤.
(٢) دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، لعبد القاهر الجرجاني: ٢ / ٥٦٠.
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٢ / ٥٢٥.
(٤) سورة الحجرات الآية: ١٠.
(٥) أحكام القرآن، لابي بكر بن العربي المالكي: ٣ / ٤٦٠.
(٦) سورة الحجرات الآية: ١٠.

إخوانكم)[1] وهذا في النسب»[2].

يبين الرازي أن لفظ «الإخوة» يشمل النسب والدين، وأن الأخوّة في الإيمان أعمق من رابطة الدم.

قال الزحيلي: »وقد كان العرب الجاهليون في حروب مستعرة وعداوات وأحقاد، وبخاصة الأوس والخزرج، فلما جاء الإسلام، انتزع من قلوبهم الحقد، وطهرهم من العداوة، وأصبحوا بنعمة الله إخوانا متحابين متعاطفين، يؤثرون إخوانهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة (أي حاجة) وكانوا على وشك الوقوع في النار بسبب شركهم ووثنيتهم إذا ماتوا، فأنقذهم الله بالإسلام والتوحيد، والإيمان والطاعة، ومثل هذا البيان والتوجيه والتذكير، يبين الله آياته للناس، ليهتدوا إلى الطريق المستقيم، أو ليكونوا بالاستقامة والسداد راجين الهداية.

والجامع بين المسلمين هو المبدأ العظيم في القرآن: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ[3]»[4]

يوضح الزحيلي أن الإسلام حوّل مجتمع العداوة إلى مجتمع الإخاء والتكافل، فجعل الأخوّة مبدأً بنيويًا في الأمة.

يشبّه ابن الجوزي وحدة المؤمنين بوحدة الجسد؛ لأن الإيمان يجعل ألم الفرد ألم الجماعة.

قال الامام ابن الجوزي: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد « إنما جعل المؤمنين كجسد واحد لأن الإيمان يجمعهم كما يجمع الجسد الأعضاء، فلموضع اجتماع الأعضاء يتأذى الكل بتأذى البعض وكذلك أهل الإيمان، يتأذى بعضهم بتأذي البعض»[5].

قال الامام القرطبي: » ومن باب: مثل المؤمنين (قوله صلى الله عليه وسلم: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) تمثيل يفيد الحض على معونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإن البناء لا يتم أمره، ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضا ويقويه، فإن لم يكن كذلك انحلت أجزاؤه، وخرب بناؤه. وكذلك المؤمن لا يستقل بأمور دنياه ودينه إلا بمعونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن

(١) سورة النور الآية: ٦١]
(٢) مفاتيح الغيب، للرازي: ٨ / ٣١٢.
(٣) سورة الحجرات الآية: ١٠.
(٤) التفسير الوسيط للزحيلي: ١ / ٢٢٣.
(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: ٢ / ٢١٢.

مقاومة مضاده، فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين، ويلتحق بالهالكين.

و(قوله: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. . . ومقصود هذا التمثيل: الحض على ما يتعين من محبة المؤمن ونصيحته والتهمم بأمره»[١].

يرى الامام القرطبي أن التشبيه بالبنيان والجسد يؤسس لضرورة التعاون؛ فبدونه ينهار المجتمع كما ينهار البناء.

يبيّن الامام الصنعاني: أن الحديث يوضح أبعاد الاتحاد بين المؤمنين: التراحم هو رحمة بعضهم ببعض، والتواد هو التواصل الذي يجلب المحبة مثل التزاور والهدايا، والتعاطف هو معاونة بعضهم بعضًا كما يعطف طرف الثوب على الآخر لتقويته. مثل الجسد يبيّن كيف يشارك الجميع في السهر والحمى عند ألم عضو، تمامًا كما يهتم المؤمنون ببعضهم ويشغلون أنفسهم بشؤون إخوانهم[٢].

يُوضح الامام ابن باديس: أن المؤمنين مثل البنيان الواحد، يتضامن كل فرد مع الآخرين مهما صغر شأنه، فالضعيف يقوي القوي بالاتحاد، والقوي يعتمد على كل جزء لإتمام البناء، كما تتجلى الوحدة في التضامن والتوادّ والتراحم، ما يمنح المجتمع قوة عامة ويقيه من الانهيار أو القهر[٣].

قال فيصل الحريملي: »في هذا الحديث: تعظيمُ حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضًا»[٤].

يختصر فيصل الحريمي دلالة الحديث في أنه يقرر عظمة حقوق المسلمين ووجوب التعاون والملاطفة بينهم.

ثالثاً: القيم الأسرية المستنبطة من الآية والحديث وتطبيقاتها المعاصرة

١. قيمة الأخوة والتكافل الأسري: تُعد الأخوة الرابطة الإيمانية الأولى التي تُبنى داخل المحيط الأسري، لتتحول من مجرد صلة نسب إلى منظومة حقوقية تشمل النصرة، والشفقة، والتعاون المادي والمعنوي.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي: ٦ / ٥٦٥.
(٢) ينظر: التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، للصنعاني: ٦ / ٥٢٤، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، للصنعاني: ٩ / ٥٣٧.
(٣) ينظر: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي: ٩٨ - ٩٩.
(٤) تطريز رياض الصالحين: لفيصل بن عبد العزيز الحريملي النجدي: ١٧٣.

يرى الزمخشري في «الكشاف» أن مقتضى الأخوة هو الإحسان حسب الطاقة، ونصرة الأخ والشفقة عليه، وطرح التفرقة، ومراعاة حقوق كل من اتصل بك بسبب، حتى يشمل ذلك الجيران والخدم.

قالت د. سناء الخولي: «إن التكافل الأسري هو الدعامة الأولى للضبط الاجتماعي؛ حيث تعمل الأسرة كشبكة أمان تحمي أفرادها من الهزات الاقتصادية والاجتماعية، مما يعزز من مرونة المجتمع وقدرته على الاستمرار.[١]».

التطبيق المعاصر: إنشاء صناديق تكافلية عائلية لمواجهة الأزمات، واستخدام المجموعات الرقمية العائلية لتعزيز قيم العطاء وتفقد أحوال الأقارب المتعسرين.

٢. قيمة الرحمة والتوادّ بين الأقارب: الرحمة هي الروح المحركة للعلاقات الأسرية، وهي التي تحول الواجبات الجافة إلى سلوكيات نابعة من المحبة واللين والتجاوز عن العثرات.

يوضح الصنعاني: أن التراحم هو فعل الرحمة المتبادل، والتوادّ هو التواصل الجالب للمحبة كالتهادي، بينما يرى الزحيلي أن الإسلام انتزع الحقد من القلوب ليحل محله التعاطف والتحابّ.

قال د. عبد العزيز الغريب: » تعتبر الرحمة المتبادلة داخل الأسرة حجر الزاوية في التنشئة الوجدانية؛ فالطفل الذي ينشأ في بيئة رحيمة يكتسب قدرة أكبر على التعاطف الاجتماعي والإيثار في حياته العامة.[٢]»

التطبيق المعاصر: رعاية المرضى وكبار السن داخل نطاق الأسرة الممتدة، وتفعيل ثقافة العفو والتسامح في الخلافات العائلية لضمان استمرار الود.

١. قيمة التعاون والإعانة (البنيان المرصوص): شبهت النصوص الشرعية الأسرة والمجتمع بالبنيان الذي يشد بعضه بعضاً، مما يؤصل لضرورة الاتحاد والتعاون لتجاوز تحديات الحياة.

يؤكد القرطبي: أن تمثيل المؤمنين بالبنيان يحض على المعونة المتأكدة، بينما يرى ابن باديس أن تشبيك الأصابع النبوي هو تصوير محسوس لضرورة الاتحاد وفائدته في تقوية الجميع.

قالت د. فوزية دياب: «التعاون الأسري في توزيع الأدوار والمسؤوليات يقلل من حدة الضغوط النفسية على الأفراد، ويخلق حالة من (التضامن العضوي) التي تجعل الأسرة وحدة منتجة

(١) علم الاجتماع العائلي، د. سناء الخولي، ص ١٩٢.
(٢) التنشئة الاجتماعية وقضايا المجتمع المعاصر، د. عبد العزيز الغريب، ص ١٤٥.

ومستقرة.[١]».

التطبيق المعاصر: تقاسم الأعباء المنزلية بين الزوجين، وتعاون الإخوة في تربية الأبناء وتوجيههم، واستثمار التقنية في تنظيم شؤون الأسرة الجماعية.

٣. قيمة المسؤولية المشتركة في صون وحدة الأسرة: تقع مسؤولية حماية الكيان الأسري على عاتق كل فرد، من خلال تفقد الاحتياجات، وحفظ العهود، وعدم السماح للمؤثرات الخارجية بتمزيق الروابط.

يشترط القشيري في الأخوة ألا يقصر الفرد في تفقد أحوال أخيه حتى لا يضطره للسؤال، مع ضرورة حفظ العهد القديم ومراعاة حقوق الأهل في الحضور والمغيب.

قال د. صالح بن هادي الصنيع: «إن الحفاظ على وحدة الأسرة يتطلب وعياً جمعياً بمخاطر التفكك، ويتأتى ذلك من خلال الحوار المستمر والقدرة على إدارة النزاعات بطريقة بناءة تحفظ كرامة الجميع.[٢]»

التطبيق المعاصر: تنمية الوعي الرقمي لمواجهة مخاطر العزلة داخل البيت الواحد، وتخصيص جلسات حوارية دورية لحل المشكلات الأسرية بروح المودة.

٤. الأثر التربوي للتراحم في بناء المجتمع: الأسرة هي المختبر الأول لتعلم القيم؛ فالتراحم الأسري ليس شأناً داخلياً فقط، بل هو ركيزة أساسية لبناء مجتمع سوي متماسك.

يؤكد الزحيلي أن التراحم يطهر القلوب من العداوة ويجعل الأفراد يؤثرون غيرهم على أنفسهم، ويعتبر ابن باديس أن هذا الاتحاد هو مصدر القوة الحقيقي للمجتمع بأسره.

قال د. إبراهيم ناصر: «الأسرة هي المدرسة السيوسولوجية الأولى؛ حيث إن استقرارها النفسي القائم على الرحمة يرفد المجتمع بأفراد يمتلكون طاقة إيجابية نحو البناء والإصلاح والتعاون.[٣]»

التطبيق المعاصر: تنشئة الأبناء على قيم التطوع والخدمة المجتمعية انطلاقاً من ممارستهم لها داخل الأسرة، واستخدام الوسائط الرقمية كأداة لتعزيز الصلة لا القطيعة.

(١) سيكولوجية العلاقات الأسرية، د. فوزية دياب، ص ١١٨

(٢) الإرشاد الأسري: نظرياته وتطبيقاته، د. صالح بن هادي الصنيع، ص ٢٦٠.

(٣) علم الاجتماع التربوي، د. إبراهيم ناصر ص ٩١.

ومما تقدم يظهر التكامل بين الآية الكريمة والحديث النبوي في ترسيخهما لقيمة التراحم الأسري بين الأقارب، فالآية تؤكد وحدة المؤمنين ورابط الأخوة الإيمانية التي تجمعهم على المحبة والود، وجاء الحديث ليجسّد هذا المعنى بصورة محسوسة تُبرز شدة الترابط والتعاطف بين أفراد المجتمع المؤمن، كما تتجلى آثاره أولًا في محيط الأسرة التي تُعدّ نواة المجتمع ومصدر تماسكه.

المطلب الثالث: الإصلاح عند الخصام اولاً: النص القرآني والحديث النبوي:

قال الله تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) (١)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»(٢).

ثانياً: غريب الحديث: (الْحَالِقَةُ): قال الزمخشري إن «الحالقة» لا تعني الشعر، بل الدين الذي تُهلكه وتغيّره(٣). وقال ابن الجوزي إنها تعني قطع الرحم(٤)، بينما رأى ابن الأثير أنها تشير إلى الخصلة التي تهلك الدين أو قطيعة الرحم والتظالم(٥).

ثالثاً: أقوال العلماء في تفسير الآية وشرح الحديث:

يظهر تكامل الآية والحديث في تعظيم شأن الإصلاح بين الناس بوصفه من أعظم أعمال البر؛ فالآية جعلته من جوهر الخير، والحديث فضّله على نوافل العبادات لما يحققه من جمع القلوب وصيانة الدين والمجتمع، وقد أجمع العلماء على عظيم أثره ومقاصده ومن أقوالهم في ذلك ما يأتي:

(١) سورة النساء الآية: ١١٤.

(٢) أخرجه الامام أبو داود في سننه: كتاب الأدب / باب في إصلاح ذات البين ٤ / ٢٨٠قم الحديث(٤٩١٩)وأخرجه الامام الترمذي في جامعه: ٤ / ٦٦٣ رقم الحديث(٢٥٠٩)وقال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»

(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري: ١ / ٣٠٦.

(٤) غريب الحديث لابن الجوزي: ١ / ٢٣٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الاثير: ١ / ٤٢٨.

يرى الامام الطبري: أن الآية حصرت الخير في النجوى التي تدعو إلى الصدقة أو المعروف أو الإصلاح بين الناس، والمقصود بالإصلاح جمع المتخاصمين على الألفة ووحدة الكلمة بما أذن الله به. وجعل الله جزاء ذلك أجرًا عظيمًا لمن قصد به رضاه، وهو أجر لا يُحدّ قدره إلا الله(١).

قال الامام القرطبي: «المعنى: لا خير في كثير من نجوى المتناجين من الناس إلا في من أمر بصدقة، أو معروف، أو إصلاح بين الناس، فإن أولئك فيهم الخير، فنجوى على هذا اسم للناس المتناجين»(٢).

يوضح الامام القرطبي: أن ما لا فائدة فيه من المجالس السرية بين الناس يُستثنى منه الأعمال الصالحة كالصدقة والمعروف والإصلاح، فهي وحدها التي يُرتجى منها الخير.

يرى القشيري أن أفضل الأعمال ما يتعدّى نفعه إلى الغير، ففي الخبر: «شرّ الناس من أكل وحده»(٣) وكلّ أصناف الإحسان ينطبق عليها لفظ الصدقة.

قال صلّى الله عليه وسلّم في قصر الصلاة في السفر: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ» (٤)ولذلك كانت الصدقة والمعروف والإصلاح من أشرف القُرَب. والصدقة لا تقتصر على المال، بل تشمل النفس والقلب والبدن: فبالمال يكون الإنفاق، وبالبدن الخدمة، وبالقلب حسن النية والهمة. والمعروف هو كل خير شرعي يحقق نفعًا للمسلمين ويقربهم إلى الله.ومن جمع بين تزكية نفسه، والإحسان إلى غيره، والإصلاح بين الناس ابتغاء مرضاة الله، بلغ مرتبة الصديقية والإمامة في طريق الله، وذلك هو الأجر العظيم الذي وعدت به الآية(٥).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: ٩ / ٢٠٢.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي: ٢ / ١٤٦٦.

(٣) اخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ٥ / ١٥٨ رقم الحديث (١١٤٧)، وأخرجه الاصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: في محمد بن كعب القرظي: ٣ / ٢١٨ .وضعفه الالباني.

(٤) أخرجه الامام مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب صلاة المسافرين: ١ / ٤٧٨ قم الحديث (٦٨٦)

(٥) لطائف الإشارات، للقشيري: ١ / ٣٦٣.

يبيّن الامام الواحدي أن الآية تعمّ جميع الناس، وأنه لا خير في أكثر كلامهم ونجواهم إلا ما كان متعلّقًا بالصدقة، أو المعروف، أو الإصلاح بين الناس؛ فالمعروف يشمل كل طاعةٍ وبرّ، وصلةِ رحم، وما تعارف العقل والشرع على حسنه. وقد أكدت السنّة هذا المعنى، فجعلت الإصلاح بين الناس من أعظم الصدقات، وقرّرت أن خير كلام الإنسان ما كان أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكرًا لله. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي أَيُّوبَ بْنِ زَيْدٍ: «يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى عَمِلٍ يَرْضَاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ؟» قَالَ: بَلَى. قَالَ: «تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَتُقَارِبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»(١) ثم ختمت الآية ببيان أن العبرة بالإخلاص، وأن من قصد بذلك رضى الله نال أجرًا عظيمًا لا حدّ له(٢).

قال الامام الطيبي: » فيه حث وترغيب على إصلاح ذات البين واجتناب عن الفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفريق بين المسلمين. وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة عند الله سبحانه وتعالى فوق ما ينالها الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه. فعلى هذا ينبغي أن تحمل الصلاة والصيام على الإطلاق والحالقة على ما يحتاج أمر الدين»(٣).

يقرر الامام الطيبي: أن إصلاح ذات البين عبادة جماعية تحفظ وحدة الدين، وهي أعظم من العبادات الفردية لأنها تصون جماعة المسلمين من التفرق والهلاك.

قال الامام ابن رسلان: «قوله «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» المستمرات أو الكثيرات (قالوا: بلى) يا رسول اللّه. (قال: إصلاح ذات البين) أي: إصلاح أحوال البين، يعني: ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوالكم أحوال صحبة وألفة واتفاق.

وقيل: إصلاح ذات البين هو إصلاح الفساد والفتنة التي تكون بين القوم، وإسكان الفتنة الثائرة بين القوم أو بين اثنين، فالإصلاح إذ ذاك واجب وجوب كفاية مهما وجد إليه سبيلا.

ويحصل الإصلاح بمواساة الإخوان والمحتاجين ومساعدتهم مما رزقه اللّه، وضد إصلاح ذات البين (وفساد ذات البين) هي (الحالقة). قال اليزيدي: لا أقول تحلق الشعر، ولكن

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: عبد الله بن حفص، عن أبي أمامة ٨: / ٢٥٧ رقم الحديث(٧٩٩٩)وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وعبد الله بن حفص صاحب أبي أمامة لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.مجمع الزوائد، للهيثمي: ٨ / ٨٠.
(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي: ٢ / ١١٥ - ١١٦.
(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ١٠ / ٢٢١٤.

تحلق الدين»[١].

يبين الامام ابن رسلان: أن إصلاح ذات البين هو إزالة الفتنة وتحقيق الألفة، وهو واجب كفائي، وفساده يهدم الدين كما تحلق الموسى الشعر.

يرى الملا علي القاري: أن إصلاح ذات البين عملٌ عظيم يفوق في الفضل نوافل الصيام والصلاة والصدقة؛ لأنه يحفظ وحدة المسلمين ويصون دينهم من التمزّق. والمقصود بذات البين هو ما بين الناس من أحوال الألفة أو الخصومة، فإصلاحها يعني إعادة المودة والاتفاق.

أما فساد ذات البين فهو «الحالق»: ، أي التي تمحو ثواب الأعمال وتهلك الدين؛ لأنها تفضي إلى التفرق والعداوة، ولذلك كان الاشتغال بالإصلاح أرفع من عبادة الفرد المنعزلة[٢].

يبيّن عبد المحسن بن حمد العباد: أن إصلاح ذات البين هو إزالة ما يقع بين الناس من فرقة ووحشة وبغضاء، والسعي إلى تقريب القلوب وإعادة الأخوّة. وقد فضّل النبي ﷺ هذا العمل على نوافل الصيام والصلاة والصدقة؛ لأنه يدفع مفاسد عظيمة ويجلب مصالح عامة للأمة.

أما فساد ذات البين فهو الذي يحلق الدين لا الشعر، أي يدمّره؛ لما يترتب عليه من خصومات واعتداءات وفساد اجتماعي واسع[٣].

رابعا: القيم الأسرية المستنبطة من الآية والحديث وتطبيقاتها المعاصرة

١. قيمة الإصلاح وحماية الكيان الأسري: يعد الإصلاح بين أفراد الأسرة من أسمى الغايات الشرعية، إذ يهدف إلى استعادة الانسجام وجمع الكلمة، وهو ليس مجرد وسيلة لحل النزاع بل هو عبادة تمنع تفكك البناء الاجتماعي.

يذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: (إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) أن المقصود هو الإصلاح بين المختصمين ليتراجعا إلى الألفة واجتماع الكلمة وفق ما أذن الله به، مما يعني إحياء روح التراحم.

قال د. سناء الخولي: إن الإصلاح الأسري يمثل وظيفة وقائية وعلاجية في آن واحد؛ حيث يسهم في تقليل نسب الطلاق والتفكك، ويحافظ على البيئة النفسية المستقرة للأبناء، مما يحمي المجتمع من الانحرافات السلوكية الناتجة عن النزاعات الوالدية.[٤]

(١) شرح سنن أبي داود، لابن رسلان: ١٨ / ٦٨١.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري: ٨ / ٣١٥٣ - ٣١٥٤.
(٣) ينظر: شرح سنن أبي داود: لعبد المحسن العباد: ٥٩٩ / ٣٢.
(٤) علم الاجتماع العائلي، د. سناء الخولي، ص ٢١٥.

التطبيق المعاصر: تفعيل دور مراكز «الإرشاد والإصلاح الأسري» في المؤسسات الاجتماعية، واستخدام أساليب الوساطة الأسرية الحديثة القائمة على الرفق والحكمة.

٢. قيمة الحوار والتواصل الإيجابي (النجوى الخيرة): لا يتحقق الإصلاح إلا من خلال قنوات تواصل مفتوحة وحوار هادئ يهدف إلى المناصحة وبناء التوافق بدل التناحر.

يشير مكي بن أبي طالب القرطبي إلى أن «النجوى» (التحدث سراً) لا خير فيها إلا إذا كانت تأمر بصدقة أو معروف أو إصلاح، فالتناجي بالخير هو السبيل الفعال لحل الخلافات.

قال د. صالح بن هادي: الصنيع الحوار هو الأداة الأساسية للتماسك الأسري، والتواصل الإيجابي يمنع تراكم المشاعر السلبية؛ فالأسر التي تعتمد «النجوى الخيرة» والتشاور المستمر تكون أكثر قدرة على مواجهة الأزمات الخارجية.[١]».

التطبيق المعاصر: غرس ثقافة الحوار الأسري اليومي، وتجنب الصمت العقابي أو القطيعة، واستخدام مهارات الاستماع الفعال بين الزوجين والأبناء.

٣. قيمة التسامح والتغافل (ابتغاء مرضاة الله)الإصلاح الحقيقي يتطلب ترجيح كفة المصلحة الأسرية العليا على الأهواء الشخصية، والقدرة على التنازل عن بعض الحقوق طلباً للرضا الإلهي. يوضح القشيري أن من يفعل الإصلاح ابتغاء مرضاة الله دون طلب مال أو حيازة «حال» لنفسه، يبلغ رتبة الإمامة في طريق الله، وهذا هو جوهر الأجر الموعود.

قالت د. فوزية دياب: «إن قيمة التغافل والتسامح هي التي تضمن ديمومة العلاقات الأسرية؛ فالمحاسبة الدقيقة على الصغائر تولد بيئة طاردة، بينما يبني العفو بيئة حاضنة تشجع على تصحيح الأخطاء ذاتياً.[٢]»

التطبيق المعاصر: ممارسة مبدأ «التغافل الذكي» عن الزلات غير الجوهرية، والابتعاد عن التعصب للرأي في الخلافات الزوجية حفاظاً على كرامة الشريك والأسرة.

٤. قيمة الاعتصام ونبذ الفرقة (وحدة الصف): الإصلاح الأسري هو الأساس لتماسك الأمة؛ فإذا صلح ما بين الأقارب والزوجين، تحصن المجتمع من التفرق والنزاع.

يرى الطيبي أن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، بينما يعد فساد ذات البين «ثلمة» في الدين تمزق النسيج المجتمعي وتضعفه.

(١) الإرشاد الأسري: نظرياته وتطبيقاته، د. صالح بن هادي الصنيع، ص ١٨٨.
(٢) سيكولوجية العلاقات الأسرية، د. فوزية دياب، ص ١١٢.

قال د. السيد عبد العاطي السيد: تعتبر الأسرة الموحدة نموذجاً مصغراً للاتحاد الاجتماعي؛ فالتعاون الداخلي فيها ينعكس على سلوك الأفراد في المجتمع، حيث يميلون إلى التعاون والإنتاج بدل الانشغال بالصراعات الجانبية.(١)».

التطبيق المعاصر: المشاركة الأسرية الجماعية في المبادرات التطوعية، وتربية الأبناء على أن قوة الأسرة تكمن في وحدتها وتكامل أفرادها.

٢. قيمة التربية الوقائية (حماية الدين من الحالقة)يهدف الإصلاح إلى وأد الفتنة في مهدها قبل أن تتحول إلى «حالقة» للدين والروابط، مما يجعل الوقاية من النزاع واجباً تربوياً.

يؤكد ابن رسلان أن إصلاح ذات البين واجب كفاية لإسكان الفتنة، محذراً من أن فساد الروابط هو «الحالقة» التي لا تحلق الشعر بل تحلق الدين والمنظومة القيمية.

قال د. إبراهيم ناصر: التربية الوقائية داخل الأسرة تعتمد على تدريب الأفراد على إدارة الانفعالات وضبط النفس عند الغضب؛ فالأبناء الذين يتعلمون ‹أدب الاختلاف› هم الأقل عرضة للدخول في نزاعات حادة مستقبلاً.(٢)».

التطبيق المعاصر: تدريب الأبناء على مهارات التفاوض، واحترام الرأي الآخر، والاعتذار عند الخطأ، لمنع تصاعد الخلافات العابرة إلى قطيعة رحم دائمة.

٣. قيمة استحضار النية والأجر العظيم: ربط الإصلاح بالأجر العظيم الذي «لا يحدده إلا الله» يمنح المصلح دافعاً معنوياً قوياً للاستمرار رغم صعوبة المهمة.

يؤكد الطبري أن قوله تعالى (نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) يدل على جزاء لا يعلم مبلغه إلا الله، وهو تشجيع على إخلاص النية في كل محاولة لرأب الصدع الأسري.

قال د. عبد العزيز الغريب: إن ربط السلوك الاجتماعي بالجزاء الأخروي يعزز من (المسؤولية الذاتية) للفرد، مما يجعل السعي للإصلاح سلوكاً مستداماً لا يتأثر بجحود الآخرين أو قلة تقديرهم.(٣)».

التطبيق المعاصر: احتساب الأجر عند القيام بمهام الوساطة بين الأقارب، وتعليم الأبناء أن السعي في الصلح من أعظم «الأوقاف المعنوية» التي يبقى أثرها.

(١) البناء الاجتماعي، د. السيد عبد العاطي السيد، ص ٢٤١.
(٢) علم الاجتماع التربوي، د. إبراهيم ناصر ص ١٠٥.
(٣) التنشئة الاجتماعية وقضايا المجتمع المعاصر، د. عبد العزيز الغريب، ص ١٦٧.

ومما تقدم يتجلى التكامل بين القرآن والسنة في الحث على إصلاح ذات البين بوصفه من أعظم أعمال البر، فالآية قررت أن الخير في الكلمة التي تُصلح بين الناس، والحديث بيّن أن هذا العمل يفوق في الأجر نوافل العبادات، مما يؤكد عناية الإسلام بحفظ الروابط الأسرية والاجتماعية وصونها من التنازع والقطيعة.

المطلب الرابع: العفو والصفح بين الأقارب

اولاً: النص القرآني والحديث النبوي: قال الله تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا))[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «.. وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[2].

ثانياً: أقوال العلماء في تفسير الآية وشرح الحديث:

يتجلى التكامل بين الآية الكريمة والحديث النبوي في الحثّ على خُلُق العفو والصفح، بوصفه من أعظم القيم التي تُصلح النفوس وتُقوّي الروابط الأسرية والاجتماعية، فالآية تأمر بالعفو طلبًا لرضا الله، وجاء الحديث ليُبرز أثره في رفعة العبد وعزّه. ولترسيخ هذا المعنى تُذكر أقوال المفسرين وشُرّاح الحديث التي بينت فضل العفو وآثاره في تهذيب النفس وتحقيق التآلف الأسري والمجتمعي.

قال الامام يحيى بن سلام: » أي فكما تحبون أن يغفر الله لكم فاعفوا واصفحوا»[3].

يربط الامام يحيى بن سلام العفو والصفح بمبدأ المعاملة بالمثل مع مغفرة الله.

قال الامام ابن كثير: » وليعفوا وليصفحوا أي عما تقدم منهم من الإساءة والأذى؟ وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم، وهذه الآية نزلت في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة بعد ما قال في عائشة ما قال»[4].

(١) سورة النور الآية: ٢٢.

(٢) أخرجه الامام مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب / باب استحباب العفو والتواضع: ٤ / ٢٠٠١ رقم الحديث(٢٥٨٨)

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ١ / ٤٣٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦ / ٢٩.

يبيّن الامام ابن كثير أن الأمر بالعفو تجلٍّ لرحمة الله، ونزل تطبيقًا عمليًا في موقف أبي بكر مع مسطح.

قال الامام المراغي: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) أي وليتركوا عقوبتهم على ذلك، بحرمانهم مما كانوا يؤتونهم، وليعودوا لهم إلى مثل الذي كان لهم عليهم من الإفضال.

ثم رغبهم في العفو والتفضل فقال: (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) أي ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضاله عليكم، والجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك، يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح الله عنك، فحينئذ قال الصديق: بلى والله نحب أن تغفر لنا ربّنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال والله لا أنزعها منه أبدا»[1].

يجعل الامام المراغي العفو عودةً إلى الإحسان بعد الإساءة، ويؤسس له بقاعدة الجزاء من جنس العمل.

قال الشيخ الشعراوي: » فإذا كنت تحب أن يغفر الله لك، أفلا تغفر لمن فعل معك سيئة؟ . وما دمت تريد أن يغفر الله لك فاغفر للناس خطأهم.

قالها الحق عَزَّ وَجَلَّ لأبي بكر؛ لأنه وقف موقفاً من رجل خاض في الإفك مع من خاض ومع ذلك يبلغه أن ذلك لا يصح»[2].

يقدّم الشيخ الشعراوي العفو بوصفه شرطًا عمليًا لنيل مغفرة الله، لا مجرد فضيلة أخلاقية.

قال الدكتورالزحيلي: » وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أي ليعفوا عن المسيء، ويصفحوا عن خطأ المذنب، فلا يعاقبونه ولا يحرمونه من عطائهم، وليعودوا إلى صلتهم الأولى، فإن من أخطأ مرة يجب ألا يتشدد في العقاب عليه، وقد عوقب مسطح بالحد والضرب، وكفي ذلك، وزلق زلقة تاب الله عليه منها.

(أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي ألا تريدون أن يستر الله عليكم ذنوبكم، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك، يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح

(١) تفسير المراغي: ١٨ / ٨٩.
(٢) تفسير الشعراوي: ٢ / ٩٧٣.

عنك: «مَنْ لَا يَرْحَمُ، لَا يُرْحَمُ» (١) والله غفور»(٢).

يقرر الدكتور الزحيلي أن العفو لا يلغي المحاسبة الشرعية، لكنه يمنع استمرار العقوبة الاجتماعية بعد التوبة.

قال القاضي عياض: «وقوله: « ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا »: فيه وجهان: أحدهما: ظاهره أن من عرف بالصفح والعفو ساد وعظم في القلوب وزاد عزه.الثاني: أن يكون أجره على ذلك في الآخرة وعزته هناك .» وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »: فيه وجهان كذلك:

أحدهما: أن الله - تعالى - يمنحه ذلك في الدنيا جزاء على تواضعه له، وأن تواضعه يثبت له في القلوب محبة ومكانة وعزة. والثاني: أن يكون ذلك ثوابه في الآخرة على تواضعه. وهذه الوجوه كلها في الدنيا ظاهرة موجودة، وقد صدق - عليه السلام - فيما أخبر منها. وقد يكون جمع الوجهين في جميعها. وكان هذا كله تنبيهًا على رد قول من يقول: الصبر والحلم الذل. ومن قاله من الجملة فإنما أراد به شبهه في الاحتمال وعدم الانتصار»(٣).

يقرر الامام القاضي عياض أن العفو والتواضع سببٌ للعز إما في الدنيا بالمكانة أو في الآخرة بالثواب.

قال الامام ابن هبيرة: » وقوله: (وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا) فإن العفو عز في وقته، وبعد ذلك، فما زاد به أحد إلا عزا، وإذا وسوس الشيطان للمسلم بأن هذا يخرجه الناس مخرج الذل؛ فتلك خديعة منه، فكلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دواء لذلك الداء.وأما قوله: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فقوله: (الله) يعني ألا يكون تواضعه لأهل الدنيا، ثم يتكبر على أهل الدين، ولكن يتواضع لله فيرفعه الله تعالى جل جلاله»(٤).

يردّ الامام ابن هبيرة وهمَ أن العفو ذلّ، ويبين أنه قوة روحية ترفع صاحبها عند الله والناس.

قال الامام ابن الجوزي: » وقوله: (وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا) وذاك لأن العافي في مقام الواهب والمتصدق، فيعز بذلك. وقوله: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) أي رفع

(١) أخرجه الامام أحمد في مسنده: مسند أبي هريرة رضي الله عنه: ١٢ / ١٧ رقم الحديث(٧١٢١)قال الشيخ شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) التفسير المنير، للزحيلي: ١٨ / ١٨٥.

(٣) إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، للقاضي عياض: ٨ / ٥٩، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٥ / ١٥٤٠.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة: ٨ / ١٧٤.

قدره في القلوب»[١].

يفسر الامام ابن الجوزي العفو بالعطاء المعنوي الذي يمنح صاحبه مكانة ورفعة.

قال الامام القرطبي: و(قوله: ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا) فيه وجهان:

أحدهما: ظاهره، فإن من عرف بالصفح والعفو ساد وعظم في القلوب.

والثاني: أن يكون أجره وثوابه وجاهه وعزه في الآخرة أكثر.

و(قوله: وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) التواضع: الانكسار والتذلل، ونقيضه التكبر والترفع. والتواضع يقتضي متواضعا له، فإن كان المتواضع له هو الله تعالى، أو من أمر الله بالتواضع له كالرسول، والإمام والحاكم، والوالد، والعالم، فهو التواضع الواجب المحمود، الذي يرفع الله تعالى به صاحبه في الدنيا والآخرة، وأما التواضع لسائر الخلق فالأصل فيه أنه محمود، ومندوب إليه، ومرغب فيه، إذا قصد به وجه الله، ومن كان كذلك رفع الله تعالى قدره في القلوب، وطيب ذكره في الأفواه، ورفع درجته في الآخرة.

وأما التواضع لأهل الدنيا، ولأهل الظلم، فذلك هو الذل الذي لا عز معه، والخسة التي لا رفعة معها، بل يترتب عليها ذل الآخرة. وكل صفقة خاسرة - نعوذ بالله من ذلك - وقد تقدم الكلام على العفو والستر»[٢].

يفرّق الامام القرطبي بين التواضع لله المحمود والتواضع لأهل الظلم المذموم، ويجعل العز ثمرة الأول.

قال الامام المظهري: » قوله: «وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا»؛ يعني: لو ظلم أحد أحدا، ويقدر المظلوم على الانتقام من الظالم، فيعفو عنه يزيد الله عزه بسبب هذا العفو»[٣].

يربط الامام المظهري العز بالعفو عند القدرة، فيجعله مظهرًا من مظاهر القوة لا الضعف

قال الامام ابن الملك: » «وما زاد الله عبدًا بعفو»: الباء للسببية؛ أي: بسبب أن يعفو ذلك العبد عمن ظلم عليه مع قدرته على الانتقام منه»[٤].

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ٣ / ٥٨٦.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي: ٦ / ٥٧٦.
(٣) المفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري: ٢ / ٥٣٠.
(٤) شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، لابن الملك: ٢ / ٤٦٢.

يوضح الامام ابن الملك أن العز متولد سببيًا من العفو نفسه لا من أمرٍ خارجي عنه.

ثالثاً: القيم الأسرية المستنبطة من الآية والحديث وتطبيقاتها المعاصرة

١. قيمة العفو والإحسان في الدائرة الأسرية: العفو قيمة تربوية كبرى تهدف إلى تطهير القلوب من الأحقاد، وهي مظهر من مظاهر الكرم النفسي الذي يضمن بقاء الروابط الأسرية حية رغم وقوع الإساءة.

يوضح ابن كثير في قوله تعالى: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) أن هذا حثٌ على ترك مؤاخذة المسيء عما تقدم منه من أذى، وهو انعكاس لحلم الله وكرمه ولطفه بخلقه، فمن غفر لغيره استحق مغفرة الله.

قالت د. سناء الخولي: » إن العفو داخل النسق الأسري يعد آلية لترميم العلاقات المتصدعة؛ إذ يسهم في خفض مستويات التوتر والقلق بين الأقارب، ويحول دون تحول الخلافات العابرة إلى صراعات مزمنة تهدد كيان الأسرة.(١)«

التطبيق المعاصر: تجاوز الأخطاء غير المقصودة بين الأقارب، والبدء بمبادرات الصلح في المناسبات الاجتماعية، وعدم السماح لزلة لسان أن تهدم صلة رحم ممتدة.

٢. قيمة الصفح وترك العقوبة المعنوية: يمثل الصفح مرتبة أعلى من العفو؛ فهو تجاوزٌ بلا عتاب، وطيٌّ لصفحة الماضي مع استمرار الفضل والإحسان المادي والمعنوي تجاه الطرف الآخر.

يرى المراغي أن الصفح يقتضي ترك العقوبة بحرمان المسيء مما كان يؤتى من معروف، والعودة إلى سابق عهد الإفضال عليه وكأن شيئاً لم يكن.

قال د. صالح بن هادي الصنيع: » الصفح في المنظور التربوي هو (إعادة بناء الثقة)؛ فهو يحرر المخطئ من شعور الذنب المستمر، ويفتح صفحة جديدة للعلاقة، مما يعزز من مرونة التواصل بين أفراد العائلة الواحدة.(٢)«

التطبيق المعاصر: التسامح التام بعد الخلافات الزوجية أو الأخوية، والعودة للتواصل الطبيعي دون تذكير بالماضي أو ممارسة «اللوم المستمر» الذي يعكر صفو العلاقات.

(١) علم الاجتماع العائلي، د. سناء الخولي، ص ٢٢٨.

(٢) الإرشاد الأسري: نظرياته وتطبيقاته، د. صالح بن هادي الصنيع، ص ٢٠٤.

٣. قيمة التواضع في التعامل العائلي: التواضع هو خفض الجناح للأهل والأقارب، وهو ليس ضعفاً بل هو مصدر العزة والمحبة في قلوب أفراد الأسرة.

يؤكد القاضي عياض: أن التواضع لله يثمر رفعة في الدنيا وعزة ومكانة في قلوب الناس، فالمتواضع يمنحه الله محبة خاصة تجبر الآخرين على تقديره.

قال د. عبد العزيز الغريب: »التواضع الوالدي أمام الأبناء، وتواضع الأبناء أمام الوالدين، يخلق مناخاً من (الديمقراطية الأسرية) القائمة على الاحترام لا على الخوف، مما يسهل عملية انتقال القيم عبر الأجيال.[١]«

التطبيق المعاصر: خفض الصوت عند مخاطبة الوالدين، واحترام آراء الأبناء ومشاركتهم الحوار، وتجنب التعالي بالمنصب أو العلم داخل محيط الأسرة.

٤. قيمة العزة والرفعة بالتسامح: تصحيح المفاهيم الخاطئة حول العفو؛ فهو ليس ذلاً بل هو «عز» يكتسبه الإنسان بقدرته على السيطرة على نفسه عند الغضب.

يرى ابن الجوزي أن العافي يتبوأ مقام الواهب والمتصدق، وهذا المقام يورثه عزاً ورفعة؛ لأن التسامح من شيم الأقوياء والكرماء.

قالت د. فوزية دياب: »الشخصية التي تمتلك القدرة على التسامح هي شخصية تتمتع ب (الصلابة النفسية)؛ حيث إن العفو يعزز من تقدير الذات ويجعل الفرد نموذجاً يُحتذى به في محيطه الأسري والمجتمعي.[٢]«

التطبيق المعاصر: تعزيز صورة الشخص المتسامح داخل الأسرة كقدوة في قوة الشخصية والاتزان الانفعالي، مما يدفع الأبناء للاقتداء به في حل نزاعاتهم.

٥. قيمة تزكية النفس وإصلاح العلاقات: العفو هو تمرين يومي على تزكية النفس، يهدف إلى إصلاح المجتمع من خلال إصلاح نواته الأولى (الأسرة).

يؤكد الزحيلي أن عدم التشدد في العقاب على المخطئ هو مبدأ إسلامي أصيل، فكما يحب الإنسان مغفرة الله له، يجب عليه أن يغفر لمن أذنب في حقه.

قال د. إبراهيم ناصر: »إصلاح العلاقات الأسرية عبر التسامح هو استثمار طويل الأمد في (رأس المال الاجتماعي)؛ فالأسر المتسامحة تنتج أفراداً أسوياء قادرين على الاندماج الإيجابي

(١) التنشئة الاجتماعية وقضايا المجتمع المعاصر، د. عبد العزيز الغريب، ص ١٧٣.
(٢) سيكولوجية العلاقات الأسرية، د. فوزية دياب، ص ١٢٦.

في المجتمع بعيداً عن الكراهية.[1]»

التطبيق المعاصر: تفعيل لقاءات دورية للمصالحة العائلية، ونشر ثقافة «العفو المتبادل» عبر وسائل التواصل الاجتماعي العائلية، والاعتراف بالخطأ كقيمة أخلاقية رفيعة.

ومما تقدم يتكامل توجيه القرآن والحديث في ترسيخ خُلُق العفو والتواضع، فالله يأمر بالعفو والصفح طلبًا لمغفرته، والنبي ﷺ يبين أن العفو سبب للعزّ والرفعة، فيتحد المنهجان في غايةٍ واحدة هي بناء أسرة متراحمة متسامحة يسودها الصفاء والتآلف.

المطلب الخامس: التحذير من العقوق وقطيعة الرحم اولاً: النص القرآني والحديث النبوي:

قال الله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ)[2] عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: إِنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»[3]

ثانياً: أقوال العلماء في تفسير الآية وشرح الحديث:

يتجلى التكامل بين الآية الكريمة والحديث النبوي في التحذير الشديد من عقوق الأرحام وقطيعة الصلة بينهم، إذ تُظهر الآية أن القطيعة سببٌ في الفساد الأخلاقي والاجتماعي، بينما يُبرز الحديث عِظَم جرمها بحرمان قاطع الرحم من دخول الجنة. فالقرآن يقرّر المبدأ، والحديث يُؤكّده بالعقوبة الأخروية، ليتكاملا في بناء وعيٍ إيماني يُعظّم صلة الرحم ويصون كيان الأسرة والمجتمع من التفرّق والخصام. ويبرز أقوال العلماء في تفسير الآية وشرح الحديث.

قال الامام القرطبي: » وإنما عَنى بالرّحم، أهل الرّحم الذين جمعتهم وإياه رَحِمُ والدة واحدة. وقطعُ ذلك: ظلمه في ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها، وأوجبَ من بِرِّها. وَوَصْلُها: أداءُ الواجب لها إليها من حقوق الله التي أوجبَ لها، والتعطفُ عليها بما يحقُّ التعطف به عليها»[4].

يقرر الامام القرطبي: أن صلة الرحم التزامٌ شرعيٌّ بحقوق القرابة، وأن القطيعة ظلم بترك ما أوجبه الله من البر والإحسان.

---

(١) علم الاجتماع التربوي، د. إبراهيم ناصر ص ١١٤.

(٢) سورة محمد الآية: ٢٢.

(٣) أخرجه الامام البخاري في صحيحه: كتاب الأدب / باب إثم القاطع: ٥ / ٢٢٣١ رقم الحديث(٥٦٣٨)، أخرجه الامام مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب / باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها: ٤ / ١٩٨١ رقم الحديث(٢٥٥٦)

(٤) الْمُهَذَّبُ النَّقِيّ الْجَامِعُ لِتَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ، للطبري: ١ / ٣٠٤.

قال الامام القشيري: » أي فلعلكم إن أعرضتم عن الإيمان - بمحمد صلى الله عليه وسلم - ورجعتم إلى ما كنتم عليه أن تفسدوا في الأرض، وتسفكوا الدماء الحرام، وتقطعوا أرحامكم، وتعودوا إلى جاهليتكم»(١). يربط القشيري قطع الرحم بالارتداد العملي إلى أخلاق الجاهلية المتمثلة في الفساد وسفك الدماء.

قال الامام الواحدي: » {فهل عسيتم إن توليتم} أَيْ: لعلَّكم إن أعرضتم عمَّا جاء به محمد عليه السَّلام أن تعودوا إلى أمر الجاهليَّة فيقتل بعضكم بعضاً وهو قوله: {أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم} أَيْ: بالبغي والظلم والقتل»(٢).

يفسر الامام الواحدي الآية بأن الإعراض عن الوحي يؤدي إلى تفكك المجتمع عبر الظلم والقطيعة والاقتتال.

قال الامام الرازي: »والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق أن القرابة مظنة الاتحاد والألفة والرعاية والنصرة، فلو لم يحصل شيء من ذلك لكان ذلك أشق على القلب وأبلغ في الإيمام والإيحاش والضرورة، وكلما كان أقوى كان دفعه أوجب، فلهذا وجبت رعاية حقوق الأقارب»(٣).

يؤسس الامام الرازي وجوب صلة الرحم على قاعدة عقلية وهي أن القرابة أقوى أسباب الألفة والنصرة، وقطعها أشد الإيذاء.

قال الدكتور الزحيلي: » تعظيم رابطة القرابة وحق الرحم وتأكيد النهي عن قطعها، سواء أكانت من جهة الأب أم من جهة الأم إذ قرن الله الأرحام باسمه تعالى، وحذر من قطيعة الرحم، فقال تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ» (٤) فقرن قطع الرحم إلى الفساد في الأرض. واتفق المسلمون على أن صلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرّمة، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ، قَالَ: قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ ابْنِهَا، فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ؟ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» (٥)فأمرها بصلتها وهي كافرة مشركة»(٦).

(١) لطائف الإشارات، للقشيري: ٣ / ٤١٢.
(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي: ١٠٠٣.
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي: ٣ / ٥٨٧.
(٤) سورة محمد الآية: ٢٢.
(٥) أخرجه الامام البخاري في صحيحه: كتاب الهبة وفضلها / باب الهدية للمشركين: ٢ / ٩٢٤ رقم الحديث(٢٤٧٧)
(٦) التفسير المنير، للزحيلي: ٤ / ٢٢٦.

وأخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ[1]}»[2].والرحم هنا: اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم كالأخت والخالة وغيره، كابن العم»[3].

يقرر الزحيلي عمومية الرحم لكل الأقارب ويجعل صلتها فريضة شرعية وقطيعتها من أعظم صور الفساد في الأرض.

قال الامام ابن بطال: » وقال فيه: (لا يدخل الجنة قاطع رحم) . ومعناه عند أهل السنة: لا يدخل الجنة إن أنفذ الله عليه الوعيد، لإجماعهم أن الله تعالى في وعيده لعصاة المسلمين بالخيار إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم. قال الطبري: فإن قال قائل: قد تقدم من قولك أن المتعاهد رحمة بأدنى البر كالسلام ونحوه غير مستحق اسم قاطع، فمن القاطع الذى جاء فيه الوعيد في هذا الحديث؟ قال: هو الذى يقطعهم بالهجرة لهم والمعاداة، مع منعه إياهم معروفه ومعونته. وروى ابن وهب، عن سعيد بن أبى أيوب، عن عبد الله بن الوليد، عن أبى حجيرة الأكبر أن رجلا أتاه، فقال: انى نذرت ألا أكلم أخي. قال: إن الشيطان ولد له ولد فسماه نذرًا، وإنه من قطع ما أمر الله به أن يوصل حلت عليه اللعنة، وهذا في كتاب الله في قوله: (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)»[4].

يحدد الامام ابن بطال القطيعة المحرّمة بأنها الهجر والمعاداة وقطع المعروف، لا مجرد التقصير اليسير.

قال الإمام القرطبي إن قوله تعالى: «لا يدخل الجنة قاطع» يشير غالبًا إلى قاطع الرحم، ويفهم من السياق الشرعي أن القاطع إما من المستحل لقطع الرحم أو من يخاف أن تفسد قلبه هذه

(١) سورة محمد الآية ٢٢.

(٢) أخرجه الامام البخاري في صحيحه: كتاب التفسير / باب تفسير سورة محمد صلى الله عليه و سلم: ٤ / ١٨٢٨رقم الحديث(٤٥٥٢) .

(٣) التفسير المنير، للزحيلي: ٤ / ٢٢٦.

(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال: ٩ / ٢٠٣.

المعصية، فتؤثر على آخراه. والحديث يدل بوضوح على وجوب صلة الرحم وتحريم قطعها، وأنها من الكبائر، مع اختلاف درجات الصلة بحسب القدرة، فمنها ما يجب ويُلزم، ومنها ما يُستحب، مثل السلام والتحية، ومن لا يبلغ أقصى الصلة لا يُسمى قاطعًا، ومن يقصر بما لا يقدر عليه لا يُسمى واصلًا، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ « [١] . كما اختلف العلماء في الرحم الواجبة صلتها، والصحيح أن صلة الرحم عامة تشمل كل ذي رحم محرّم بالقرابة، وليس ما يُستثنى كما ذكر بعضهم من بني الأعمام والأخوال [٢].

قال الامام النووي: «هذا الحديث يتأول تأويلين سبقا في نظائره في كتاب الإيمان أحدهما حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها فهذا كافر يخلد في النار ولا يدخل الجنة أبدا والثاني حكاه القاضي وهو ضعيف أو باطل والله أعلم قوله صلى الله عليه وسلم للذي يصل قرابته ويقطعونه»[٣].

يحصر الامام النووي الخلود في النار بمن استحل القطيعة، ويجعل غيره تحت المشيئة الإلهية.

قال الامام المظهري: «قوله: «لا يدخل الجنة قاطع الرحم»، إن قطع الرحم عن اعتقاد جواز قطعها؛ لأنه كافر باستحلاله الحرام، وإن لم يستحل قطع الرحم، فمعنى هذا الحديث: أنه لا يدخل الجنة حتى يطهر من ذنب قطع الرحم، إما بأن يعفو الله عنه، أو يعذبه بقدر ذنبه»[٤].

يفرّق الامام المظهري بين قطيعة الكفر بالاستحلال وقطيعة المعصية التي تحتاج إلى تطهير قبل دخول الجنة.

قال الامام الطيبي: «حمل تارة على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها، وأخرى لا يدخلا مع السابقين»[٥].

يوجّه الامام الطيبي الحديث إلى أحد معنيين: الاستحلال أو التأخير عن دخول الجنة مع السابقين.

(١) أخرجه الامام البهقي في شعب الإيمان: صلة الرحم: ١٠ / ٣٤٦ رقم الحديث(٧٦٠٢) قال ابن حجر: إسناده حسن إلا أنه مرسل.المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر: ١١ / ٢٧٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي: ٦ / ٥٢٧ - ٥٢٨.

(٣) شرح النووي على مسلم: ١٥٦ / ١١٥.

(٤) المفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري: ٥ / ٢٠٧.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، للطيبي: ١٠ / ٣١٦٣.

قال الامام المظهري: «أي: قاطع الرحم، وهذا محمولٌ على من اعتقد حِلَّ القطيعة»(١).

قال الامام العيني: وقوله: «لا يدخل الجنة» معناه: أمدا ما إن جازاه الله وعاقبه، كما جاء في غير حديث، إما بدخول النار أولا، أو بإمساكه مع أصحاب الأعراف، أو بطول حسابه، والسابقون يتنعمون حينئذ إلا أن يكون فعل ذلك مستحلا»(٢).

قال الامام المناوي: » أي قاطع رحم أي لا يدخل الجنة المعدة لوصال الارحام أو لا يدخلها حتى يطهر بالنار»(٣).

يرى الامام المناوي أن القاطع يُحرم من جنة الواصلين أو يُطهَّر بالعذاب قبل دخولها.

رابعاً: القيم الأسرية المستنبطة من الآية والحديث وتطبيقاتها المعاصرة

١. قيمة صلة الرحم كضرورة لبناء الكيان الأسري: تُعد صلة الرحم من آكد الواجبات الشرعية والقيم الأخلاقية التي تحفظ نسيج المجتمع من التحلل، وهي ميثاق غليظ يربط الأفراد بجذورهم.

يؤكد الزحيلي في «التفسير المنير» أن المسلمين أجمعوا على وجوب صلة الرحم وحرمة قطيعتها، معتبراً إياها صمام أمان يمنع الإفساد في الأرض الذي حذر منه القرآن.

قالت د. سناء الخولي: »إن صلة الرحم تمثل (الضبط الاجتماعي الداخلي) للأسرة؛ فهي توفر للفرد شبكة دعم اجتماعي ونفسي ومادي، وتمنحه شعوراً بالهوية والانتماء، مما يقلل من حدة الاغتراب الاجتماعي في العصر الحديث.(٤)»

التطبيق المعاصر: الحفاظ على التواصل الدوري رغم تباعد المسافات، واستثمار التطبيقات الرقمية في عقد اللقاءات العائلية «عن بُعد»، وتخصيص أوقات للزيارات الميدانية التي تعمق الروابط الوجدانية.

٢. قيمة التحذير من القطيعة وحماية السلم الاجتماعي: قطيعة الرحم ليست مجرد سلوك سلبي، بل هي آفة تهدم البناء الأخلاقي وتجلب القطيعة الإلهية، مما يستوجب الحذر منها ككبيرة من الكبائر.

(١) شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، لابن الملك: ٥ / ٢٨١.
(٢) شرح سنن أ[ي داود، للعيني: ٦ / ٤٥٤.
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير: ٢ / ٥٠٥.
(٤) علم الاجتماع العائلي، د. سناء الخولي، ص ٢٤٠.

يرى القرطبي أن الأحاديث النبوية صريحة في تحريم القطيعة واعتبارها من كبائر الذنوب، وهي قرينة الفساد التي تستوجب اللعنة والحرمان من التوفيق.

قال د. عبد العزيز الغريب: «تؤدي القطيعة الأسرية إلى ظاهرة (التفكك الميكرو - اجتماعي)، حيث ينعزل الأفراد داخل وحدات صغيرة فاقدة للدعم، مما يزيد من معدلات الجريمة والعنف المنزلي نتيجة غياب الرقابة والمساندة العائلية.[١]»

التطبيق المعاصر: تضمين مخاطر الجفاء العائلي في المناهج التربوية، وتفعيل دور المستشارين الأسريين في علاج حالات الخصومة الدائمة قبل أن تتحول إلى قطيعة رحم تورث للأجيال.

٣. قيمة اللين والإصلاح في التعامل مع الأقارب: جوهر الصلة يكمن في سعة الصدر والقدرة على امتصاص الأذى وتليين القلوب، لتحويل مظنة الإيحاش إلى مظنة إيناس وألفة.

يوضح الرازي أن القرابة في الأصل هي مكان الاتحاد والنصرة، فإذا انقطع ذلك حصل «الإيحاش» والضرر النفسي البالغ، لذا كان الإصلاح وسيلة لرفع هذه القسوة وبناء التآلف.

قالت د. فوزية دياب: «إن مهارة (إدارة النزاع القرابي) تتطلب ليونة في التواصل وقدرة على التسامح؛ فالأسر التي تتبنى ثقافة ‹اللين› هي الأكثر استقراراً وقدرة على استيعاب أفرادها المختلفين في الطباع أو التوجهات.[٢]».

التطبيق المعاصر: إطلاق مبادرات «الصلح العائلي» في المناسبات الكبرى، وتدريب الأبناء على أدب الحوار مع الأقارب حتى عند الاختلاف في وجهات النظر.

٤. قيمة الوعي بخطورة العقوق والآثار الدينية: يمثل العقوق والقطيعة تهديداً مباشراً لمصير الفرد الأخروي، مما يستوجب تربية إيمانية تربط بين السلوك الاجتماعي والجزاء الإلهي.

يبين ابن بطال أن القطيعة تكون بالهجرة والمعاداة ومنع المعروف، بينما يشدد النووي على أن استغلال القطيعة واستحلالها دون وجه حق هو انحراف خطير يمنع من دخول الجنة.

قال د. إبراهيم ناصر: «يرتبط الانضباط الأخلاقي للفرد بمدى استيعابه لمفهوم (المسؤولية الوالدية والقرابية)؛ فالعقوق لا يمثل خروجاً على الدين فحسب، بل هو تمرد على النظم القيمية التي تحفظ استقرار المجتمع وبقاءه.[٣]».

(١) التنشئة الاجتماعية وقضايا المجتمع المعاصر، د. عبد العزيز الغريب، ص ١٨٢.
(٢) سيكولوجية العلاقات الأسرية، د. فوزية دياب، ص ١٤٢.
(٣) علم الاجتماع التربوي، د. إبراهيم ناصر ص ١٢٨.

التطبيق المعاصر: تعزيز الخطاب الديني والتربوي الذي يربط بين «النجاح الدنيوي» وبين «بر الوالدين وصلة الرحم»، واستخدام القصص الواقعية لبيان عواقب العقوق في الدنيا والآخرة.

٥. قيمة الرحمة كأساس للتقوى الأسرية: «صلة الرحم هي الترجمة العملية لصفة الرحمة التي اشتق الله منها اسم «الرحم»، مما يجعلها عبادة قلبية وسلوكية تعمق الإيمان وتجلب البركة.

يذكر القرطبي أن صلة الرحم هي أداء الحقوق الواجبة التي ألزم الله بها، والتعطف على الأقارب بما يحقق المودة، وهي مظهر من مظاهر التقوى العملية.

قال د. صالح بن هادي الصنيع: » الرحمة الأسرية هي (المختبر الأخلاقي) الأول؛ فالتعاطف مع الأقارب ومساعدتهم مادياً ونفسياً ينمي لدى الفرد قيم الإيثار والمسؤولية الاجتماعية، وهي المبادئ التي يقوم عليها المجتمع المتكافل.[١]»

التطبيق المعاصر: تشجيع الأطفال والشباب على المبادرة بمساعدة الأقارب المحتاجين، والمشاركة الجماعية في رعاية كبار السن من العائلة، وجعل «الرحمة» معياراً للتعامل داخل البيت الواحد.

يجسد الحديث والآية التكامل في التحذير من قطيعة الرحم، ويبيّن خطورتها على الفرد والمجتمع، مؤكّدًا أن صلة الأرحام أساس الأسرة والمجتمع المتماسك والمتعاون.

(١) الإرشاد الأسري: نظرياته وتطبيقاته، د. صالح بن هادي الصنيع، ص ٢٧٥.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى أن التكامل بين القرآن الكريم والسنة النبوية يشكّل مرجعًا متكاملاً لترسيخ قيم الروابط الأسرية وصلة الرحم، ويعد أساسًا لبناء أسرة متماسكة ومجتمع مستقر. وأوضحت النتائج أن تفعيل هذه القيم في الواقع المعاصر يعالج مشكلات التفكك الأسري وضعف التواصل بين الأقارب، ويعزز المودة والرحمة والتعاون داخل الأسرة. كما بينت الدراسة أن الجمع بين التحليل النصي الشرعي وفهم السياق الاجتماعي يقدم رؤى عملية لتطبيق هذه القيم في التربية والتعليم والممارسات الأسرية اليومية، بما يسهم في تحقيق الاستقرار الأسري والاجتماعي بشكل فعّال ومستدام.

التوصيات:

١. تفعيل قيم صلة الرحم والبر بالوالدين: ينبغي إدراج هذه القيم في المناهج التعليمية والبرامج التربوية لتعزيز الروابط الأسرية منذ الطفولة.

٢. تعزيز التراحم والمودة بين الأقارب: يمكن ذلك عبر تنظيم ندوات وورش توعوية تتناول أهمية التعاون الأسري ومواجهة الخلافات بطريقة سليمة.

٣. التركيز على الإصلاح والعفو عند الخلافات الأسرية: يجب تشجيع المبادرات المجتمعية التي تعزز الصلح والمسامحة بين الأطراف المتخاصمة.

٤. الوقاية من العقوق وقطيعة الرحم: من خلال حملات توعية تربوية ودينية لتقليل آثارها السلبية على الأسرة والمجتمع.

٥. ربط القيم القرآنية والحديثية بالواقع المعاصر: لتسهيل تطبيقها عمليًا في الحياة اليومية والممارسات الأسرية، بما يسهم في تحقيق الاستقرار الأسري والاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

١. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله بن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.

٤. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٥. تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة.

٦. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م.

٧. تفسير الموطأ، عبد الرحمن بن مروان بن القنازعي، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٨. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام البصري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٩. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٠. دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٢. لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن القشيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة.

١٣. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
١٤. المُهَذَّبُ النَّقِيّ الْجَامِعُ لِتَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ، تحقيق صبري بن سلامة، دار أعلام السنة.
١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القرطبي، مجموعة بحوث جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
١٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، دار القلم، دمشق.
١٨. إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، القاضي عياض بن موسى، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
١٩. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هُبَيْرَة الذهلي، دار الوطن، الرياض، ١٤١٧هـ.
٢٠. التحبير لإيضاح معاني التيسير، محمد بن إسماعيل الصنعاني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٢١. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
٢٢. تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز الحريملي النجدي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٢٣. جامع الترمذي (الجامع الكبير)، محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، السعادة، القاهرة، ١٩٧٤م.
٢٥. شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن بطال، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.
٢٦. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الطيبي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٧م.
٢٧. شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٨. شرح سنن أبي داود، شهاب الدين ابن رسلان، دار الفلاح، الفيوم، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
٢٩. شرح سنن أبي داود، عبد المحسن بن حمد العباد (مخطوط مفرغ).
٣٠. شرح مصابيح السنة، غياث الدين ابن الملك، إدارة الثقافة الإسلامية، الكويت، ٢٠١٢م.
٣١. الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، لبنان.
٣٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن الجوزي، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م.
٣٣. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الأوقاف، الجزائر.
٣٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٣٥. المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود المظهري، دار النوادر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٣٦. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٣٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
٣٨. الإرشاد الأسري: نظرياته وتطبيقاته، د. صالح بن هادي الصنيع، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٣٩. البناء الاجتماعي، د. السيد عبد العاطي السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.
٤٠. التنشئة الاجتماعية وقضايا المجتمع المعاصر، د. عبد العزيز الغريب، دار المتنبي، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٤١. سيكولوجية العلاقات الأسرية، د. فوزية دياب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٢. علم الاجتماع التربوي، د. إبراهيم ناصر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٤٣. علم الاجتماع العائلي، د. سناء الخولي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.